سلطة الكتابة في علاقتها بالوعي الذّاتيّ من خلال «حملة تفتيش أوراق شخصيّة» للطيفة الزّيّات

د. هنيدة قصد الله
كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، تونس
البريد الإلكتروني: houneidakasdallah@gmail.com
معرف (أوركيد): ٠٠٠٩-٠٠٠٣-٦٢٤٥-٩٧٠٦

بحث أصيل الاستلام: ٣٠-١٢-٢٠٢٥ القبول: ١٥-٣-٢٠٢٦ النشر: ٣١-٤-٢٠٢٦

الملخص:

تُعدُّ كتابة السّيرة ذاتيّة كتابة من لحم ودم، إذ تنفتح على التّجربة الأنطولوجيّة، فتعد بخصُوصيّة و/أو خصوصيّات التّجربة الإبداعيّة، والمقال نظر في تراشح التّجربتين، لأنّه يحاول اقتناص بعض خصوصيّات الكتابة النّسائيّة، فيختبر كيفيّة تبلور وعي الذّات الكاتبة بذاتها من جهة، وقدرة الذّات الكاتبة على خوض تجربة لغويّة خاصّة بها من جهة أخرى، ذلك أنّ رهانَ السّيرة الذّاتيّة إثباتُ وعي بالذّات، بإنتاج الهويّة السّرديّة للمترجمة لذاتها، تصعُب المهمّة إذا تذكّرنا أنّ صاحبة السّيرة الذّاتيّة امرأة تواجه المجتمع بلغته وتمثّلاته، وهو ما جعل «حملة تفتيش أوراق شخصيّة» للطيفة الزّيّات مشروعا نسويّا تحرّريّا، شهدت فيه الكتابة على وعي خاصّ وسعي حثيث إلى الانخراط في الواقع ومواجهة السّلطة، وأضحى تحقيق الكيان الاجتماعيّ رهين تحقّق الكيان اللّغويّ، اللّغة فيه آلية تقريب وتبعيد في الآن نفسه، تؤكّد ميل المرأة الكاتبة إلى خرق النّظام والخروج عن المألوف بطريقة تكاد تكون عفويّة.

الكلمات المفتاحية:

السّيرة الذّاتيّة، الهويّة السّرديّة، النّسويّة، التّشظّي، التّبعيد.

للاستشهاد/ :Atif için / For Citation قصد الله، هنيدة. (٢٠٢٦).سلطة الكتابة في علاقتها بالوعي الذّاتيّ من خلال «حملة تفتيش أوراق شخصيّة» للطيفة الزّيّات. ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها. مج٧، ع ١٣، ١٣٧- ١٦٣
//https://www.daadjournal.com

The Authority of Writing and Self-Awareness in Latifa al-Zayyat's An Inspection Campaign of Personal Papers

Dr. Houneida Kasdallah
Researcher in literature, Faculty of Humanities and Social Sciences, Tunis
E-Mail: houneidakasdallah@gmail.com
Orcid ID: 0009-0003-6245-9706

Research Article Received: 30.12.2025 Accepted: 15.03.2026 Published: 31.04.2026

Abstract:

Autobiographical writing is a writing of flesh and blood. It opens onto ontological experience and thus promises the specificity, or specificities, of creative experience. This article examines the interplay between these two experiences, as it seeks to capture certain particularities of women's writing. It examines, on the one hand, how the writing subject's self-awareness takes shape and, on the other, the writing subject's ability to undertake a linguistic experience of her own. The wager of autobiography is to affirm self-awareness by producing a narrative identity through which the subject interprets herself. The task becomes more difficult when we recall that the autobiographer is a woman who confronts society in its own language and representations. This is what made Latifa al-Zayyat's An Inspection Campaign of Personal Papers a feminist emancipatory project. In it, writing bears witness to a distinctive awareness and an earnest effort to engage with reality and confront authority. The realization of social existence thus becomes contingent upon the realization of linguistic existence. Here, language functions simultaneously as a mechanism of proximity and distancing. It affirms the woman writer's tendency to transgress established order and depart from the familiar in a manner that is almost spontaneous.

Keyword:

Autobiography, narrative identity, feminism, fragmentation, distancing.

تقديم:

يرتدّ البحث في سلطة الكتابة وعلاقتها بالوعي الذّاتيّ، من خلال «حملة تفتيش أوراق شخصيّة» إلى سؤال الخصوصيّة في الكتابة النّسائيّة عامّة[١]؛ إذ الكتابة فعل ذاتيّ وإنسانيّ، في آن واحد، يروم صياغة هويّة إبداعيّة تترجم نظرة مخصوصة للّغة والمجتمع والوجود، أداتها، في ذلك، خطاب ينحت ملامحه، بالتّفاوض مع المسلّمات الرّاسخة والأنماط الثّقافيّة السّائدة.

في هذا السّياق، تثير الكتابة النّسائيّة إشكاليّات تتّصل بقدرة المرأة الكاتبة على نحت قيمة الاختلاف، داخل منجز سرديّ، قد تبدو صلته بالذّكورة أثبت، مثلما تفيد من دفاع العديد من التّخصّصات البحثيّة على صلة الذّات بعملها الإبداعيّ من جهة، وقدرة العمل الإبداعيّ على حمل شتات الذّات من جهة أخرى.

رغم ذلك، تظلّ الكتابة فعلا مُمَأسَسا، لا يقطع مع المعايير الثّقافيّة وتمثيلاتها الحاكمتين في مرحلة تاريخيّة بعينها؛ بل يتكفّل بصياغة صورة للعالم وتشكيل حيوات البشر وتنميط سلوكهم، حتّى يستبقي نظاما بعينه، أمر لا يتعارض مع ما أنتجته الحداثة من مفاهيم وبلورته من وعي بالذّات مختلف، اتّصلت – في مجملها- بمفهوم الفرد والمواطنة، وبمقولات الحرّيّة والعدالة والمساواة.

فاكتسى المشروع الحداثيّ بعدا إنسانيًّا كونيًّا، وأغرى مجتمعا عربيًّا، طال بحثه عن الإصلاح وتخبّطه في سبله، فأُتيح للمرأة العربيّة تجريب أدوار مستحدثة، في ظروف حادثة، أخبر عنها تجريب بعض النّساء العربيّات الكتابة، وأضحى خطوة عملاقة في تاريخ المرأة العربيّة وكذلك الرّجل العربيّ؛ بموجبها، استوت المرأة العربيّة ذاتا كاتبة وكيانا، يحتلّ موقعا داخل اللّغة المُمأسَسة اجتماعيًّا ورمزيًّا، وألفينا كاتبة السّيرة الذّاتيّة تبحث عن مقامات بكر، لإنتاج خطاب مغاير يعبّر عن هويّة تحتفي بخصوصيّات كيانها الوجوديّ، ذلك:» أنّ تمايز كتابات المرأة أو اختلافها عن كتابات الرّجل، إنّما يرجع إلى الاختلاف الكائن في تفاصيل رؤيتها للعالم أو للشّيء ذاته»[٢].

---

(١) انظر على سبيل الذّكر:
- المرأة والكتابة: سؤال الخصوصيّة/ بلاغة الاختلاف.
- النّصّ المؤنّث.

(٢) صورة الرّجل في القصص النّسائيّ: ٣٣٩.

لذلك بدت كتابة المرأة نقلة نوعيّة، نقاربها بالنّظر في «حملة تفتيش أوراق شخصية» للطيفة الزّيّات مفيدين من تحليل سيرتها الذّاتيّة واستقرائنا لها في ضوء الدّراسات الأدبيّة النّسويّة، ونطرح هذه الأسئلة:

كيف يمكن أن نقرأ علاقة الذّات تبحث عن وعيها بذاتها وتحقّقه بفعل الكتابة، من خلال «حملة تفتيش أوراق شخصيّة» للطيفة الزّيّات؟

وهل الكتابة إثبات للهويّة أم تجريب للافتقار إلى هويّة؟

وإلى أيّ حدّ يمكن للذّات الكاتبة المؤنّثة أن تبلغ لحظة الاستقلال بذاتها والوعي الحقيقيّ بأنوثتها وأداتُها في ذلك لغة الآخر؟

وإلى أيّ حدّ نجحت الكتابة السّيرذاتيّة للطيفة الزّيّات في اختراق غيريّة اللّغة؟

وماهي إستراتيجيّات الكتابة الّتي توسّلتها الكاتبة لتوجد لنفسها موقعا لغويًّا خاصّا ووعيا يحمل خصوصيّتها النّوعيّة؟

وإلى أيّ مدى كانت كتابة الذّات مؤسّسة لوعي سويّ بالذّات من منظور الكاتبة محقّقة لموقع أكثر توازنا؟

١- الكتابة مقام اغتراب ومقال حريّة/ تحرّر:

أجلى المتن السّيرذاتي الموسوم بـ «حملة تفتيش أوراق شخصيّة « للطيفة الزّيّات مسارا، شكّل وعي الكاتبة وحاول رسم ملامح هويّتها؛ فلم يكن فعل الكتابة مجرّد حدث لغويّ، وإنّما هو فعل وجود؛ فبالكتابة، رأت لطيفة الزّيّات، ومن خلالها، نظرت إلى نفسها.

وإن بدت الكتابة حدثا استثنائيًّا، فإنّها فعل لا يقطع مع الواقع في زمان ومكان؛ لذلك لم يكن فعل الكتابة -مع لطيفة الزّيّات- معزولا عن ملابسات فترة تاريخيّة، اتّسمت بالغليان والتّوتّر السّياسيّ والاجتماعيّ، مما ألقى بظلاله على ذات امرأة اختارت الانخراط في العمل الوطنيّ، واختارت مشاركة الرّجل، فيما لم يتعوّد الرّجل أن تشاركه فيه؛ وإذا بها، وهي تدخل غمار هذا التّوتّر، يتوقّظ لديها وعي جديد، تتداخل في تشكيل ملامحه صراعات الذّات الفردية بصراعات الذّات الجمعيّة.

ذلك أنّ: «الذّات المبدعة تتموقع -وهي ترصد وتكتب- داخل هذا النّسق الثّقافيّ العامّ، وبالتّالي، فكتاباتها تتلوّن بكلّ هذه الإرهاصات المشحونة بالتّراتبيّة والأولويّات والإلغاء والإقصاء والتّأجيل والأسبقيّات»[١]، ويحتدّ، في خضمّ ذاك السّياق، الإحساس بالذّات وتعقيدها، ويضحي مطلب فهم الذّات والوعي بها -بالنّسبة للزّيّات- أمرا ملحّا، عبره، تلملم أشلاء ذات عاشت مشدودة إلى الآخر، وتبحث عن مصالحة معه ومع ذاتها، في أدقّ خصوصيّاتها.

لكنّ هذه الهجرة الّتي تحقّقها الكاتبة، بواسطة اللّغة، من الوطن إلى المنفى فالمجهول؛ «تحوّلها، من القناعة والتّسليم والغفلة، إلى قلق السّؤال وقلق الوعي بما يحيط بها وما يجري وراءها ولها»[٢]، لذلك، فإنّ دراسة «حملة تفتيش أوراق شخصيّة»، بوصفها كتابة مصطبغة بأنوثة صاحبتها، تثير قضايا كثيرة، منها ما يتعلّق بقدرة الذّات المؤنّثة على بلوغ لحظة استقلالها بذاتها ووعيها الحقيقيّ بها، في مواجهة ذكورة تسطو على اللّغة والوجود برمّته، وهو ما يثير الأسئلة الموالية:

هل استطاعت «حملة تفتيش أوراق شخصيّة» أن تتفلّت من شروطها النّفسيّة والحضاريّة لتستوي مقاما خطابيًّا إبداعيًّا مترجِما ذاتا حرّة؟

إلى أيّ مدى تمكّنت «حملة تفتيش» من خرق الحدود الفاصلة بين الكتابة والأنوثة أو بين الهويّة المكتسَبة والهويّة المفقودة؟

وهل أنّ الزّيّات، بالكتابة، تستعيد هويّتها الأنثويّة الضّائعة المتلاشية أم أنّها تهرب من أنوثتها وتعيد صياغة غربتها مجدّدا؟

١-٢- الكتابة واغتراب الذّات الكاتبة:

إذ نروم تحسّس ملامح وعي أنثويّ، في كتابة امرأة تكشف عن ذاتها، تضعنا الأسئلة الآنفة في مواجهة التّوتّر الفنّيّ والسيكولوجيّ الحاف -عموما- بالسّرد النّسائيّ؛ ذلك أنّ انتقال المرأة من محلّ الموضوع، في كتابة الرّجل، إلى محلّ الذّات اللّغويّة المجرّبة اللّغة النّاظرة في مرآة الحرف، مُربك، المرأة -من هذه الزّاوية- تكتب

(١) الخطاب النّسائيّ ولغة الاختلاف: مقاربة للأنساق الثّقافيّة: ٣٦.
(٢) المرأة واللّغة: ١٣٥.

ضدّ سلطة خطاب قائم ما قبليًّا سابق لفعل الكتابة وإنتاج المعنى لديها.

إنّه خطاب الرّجل يستشري في المشكلات الدّلاليّة والرّمزيّة والاجتماعيّة للّغة، ويتبدّى، في مختلف التّعابير والأشكال والأنماط الفكريّة والفنّيّة الّتي سادت، في مختلف أحقاب التّاريخ الأبويّ الرّسميّ؛ فيصعب على المرأة/الكاتبة الانفلات ممّا ترسّب، في اللّغة، من قيم الفحولة وطرائق التّعبير عنها؛ ذلك أنّ البيان منظومة قضيبيّة عقليّة تحتكر رؤية العالم، مادام:» خير الكلام ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا»[1].

تجعل المعايير الثّقافيّة الأنثى ضحيّة عنف رمزيّ مضاعف تمارسه اللّغة الذّكوريّة، بهيمنتها؛ عنف رمزيّ أوّل حاضر في التّمثيلات اللّغويّة الّتي تصنّف الأنثى في خانة الجسد الشّبقيّ النّاقص القاصر، وتجسّم عمليًّا في التّوزيع التّراتبيّ الاجتماعيّ[2]، وعنف رمزيّ ثان حاضر في النّسق اللّغويّ ذاته، الأصل فيه التّذكير، يقول ابن جنّيّ:» إنّ تذكير المؤنّث واسع جدّا لأنّه ردٌّ إلى الأصل»[3].

تبعا لذلك، تواجه الكاتبة لغة تشبّعت بالذّكورة، حتّى صارت فحولة، تهمّش الأنثى وتبعد بينها وبين اللّغة، بسلطتها الصّامتة الأثر؛ ذلك أنّ «سمة الغيريّة سمة أصليّة في اللّغة، وإنّ وقوع الذّات في دائرة غيريّتها وقوع متأكّد، فاللّغة شرط من الشّروط المؤسِّسة للّقاء بين الـ»أنا» والـ»أنتَ» وشرط من شروط انبجاس الذّات... والضّمير اللّغويّ المعدّ لاحتواء الذّات وتلقّفها ضمير غريب عن الذّات، آخر تدعى إلى التّماهي معه»[4].

وبذلك تصبح اللّغة باعتبارها فعل كتابة -كما يصوّرها ميشال فوكو- تجلّيًا لذات تفكّر وتعرض وتقول ما تفكّر فيه؛ بل تغدو مظهرا لتبعثر الذّات وانفصالها عن نفسها، فـ» إنّها [الذّات] مكان كلّه خارج، لا باطن له، تنبسط عليه مجموعة من المواقع المتمايزة للذّات»[5]؛ فاللّغة، وهي تنتظم في خطاب معيّن، تنتج سلطته.

(١) المرأة واللّغة: ٧.
(٢) انظر: النّساء في خطاب الفقهاء: قضايا العورة والجسد.
(٣) المرأة واللّغة: ١٦.
(٤) الذّاتيّة في الشّعر النّسائيّ القديم:٥٧.
(٥) الذّاتيّة في الشّعر النّسائيّ القديم: ١٣٧.

فتتحوّل السّلطة إلى ظاهرة ميكروفيزيائيّة تخترق تصوّراتنا، فتوجّهها؛ ومن هذا المنطلق، تنمّ الكتابة النّسائيّة -لاسيما السّيرة الذّاتيّة منها- عن الحضور القسريّ المشحون بالتّحميلات الجنسيّة الذّكوريّة في اللّغة الّتي تكتب بها ومن خلالها، «وذلك في ظلّ وعي الكاتبات الحادّ بالحصار المرجعيّ الثّقافيّ المحدق بالمرأة المبدعة وعدم امتلاكها بالأصالة لأداة إنتاج خطابها»(١).

غير أنّ الزّيّات فضلا عن اصطدامها بذكوريّة اللّغة، فإنّها في سردها كثيرا ما أوحت بمواجهتها ذكوريّة الفضاء المكانيّ؛ إذ يلقي الملفوظ السّيرذاتيّ، باعتباره ملفوظا مرجعيًّا، بظلاله على الأمكنة الّتي اقترنت بحياة المترجم لذاته، ويحافظ على انشدادها إلى الواقع مرجعها الأصليّ.

يشي المكان في سيرة الزّيّات الذّاتيّة بأكثر من معنى؛ فأكثر الأمكنة حضورا في حملة التّفتيش مكانان: هما البيت القديم والسّجن، على ما بينهما من تضاد أوّليّ، يتّحدان في الدّلالة على سلطة رمزيّة ذكوريّة، استشرت في المكان حجابا فضائيًّا، اختصرته هندسة البيت القديم في التّقسيم النّوعيّ الّذي تهيمن فيه القيمة الذّكوريّة، وتستجيب لمنظومة القيم الاجتماعيّة ليُحصر دور المرأة في خدمة الرّجل: «يبدو أنّ التّجذّر في الفضاء المنزليّ يحدّ [النّساء] في أدوار مضبوطة، تحصر هويّاتهنّ وترتهنها، غير أنّ هذه الأدوار...توفّر -أيضا- أسس سرد الذّات»(٢)، لذلك تقيّدت حركة الكاتبة طفلة وصبيّة، وجعلتها تتسلّل إلى السّطح، لتلتذّ حريّة مطلقة، لذّتها في تزايد، بنجاح الطّفلة في صعود السّلّم والانتصار على النّعبان أو الجدّ، تقول الزّيّات:» وهكذا أحببت السّطح وأنا طفلة، غير أنّ وجود النّعبان في السّلّم وصعوبة التّسلّل من نافذة جدّي كثيرا ما أحبط رغبتي الدّائبة والملّحة في اعتلاء السّطح»(٣).

ويصعّد العدو القمع الذّكوريّ، بتمادي الزّيّات في ارتقاء السّلّم وانخراطها في النّضال السّياسيّ؛ فتواجه بيوت القوّة – على حدّ قول ميشال فوكو- مؤسّسة ردعيّة قهريّة، تستهدف الجسد والرّوح البشريّة المذنبة، وتزرع الزّجر في أعماق الكيان البشريّ وكيان الأنثى الّتي تطاولت، فاعتلت السّطح، وتمادت، فتعاطت السّياسة والنّضال؛ وهما نشاطان ذكوريّان خالصان، طالما احتكرهما السّاسة والمناضلون،

(١) كتابة الهويّة الأنثويّة في السّيرة الذّاتيّة العربيّة الحديثة:٧.

(2) De l’espace domestique au récit de soi ? Écrits féminins du for privé .

(٣) حملة تفتيش أوراق شخصيّة: ٢٩.

لذلك فإنّ معنى المعنى، في تصوير الزّيّات مشاعرها نحو الأمكنة وبيان موقفها منها، فضح «النّظام الفحوليّ العابر للأمكنة»[1].

نتيجة لذلك يبدو المشروع السّيرذاتيّ النّسويّ، من خلال «حملة تفتيش أوراق شخصيّة» للطيفة الزّيّات، مسكونا بهاجس التّحرّر من اغترابه، بغيته تأسيس نمط من الكتابة ذي خصوصيّة تمنحه وجودا، ولو على تخوم اللّغة.

فإلى أيّ مدى استطاعت «حملة تفتيش أوراق شخصيّة» أن تجلي قيما في الكتابة وبنى رمزيّة دلالتها مستحدثة ترسم ملامحها، في مسار مواز للكتابة الذّكوريّة؟

١-٣- الكتابة حريّة وسبيل إلى إدراك الذّات:

إنّ مَن يرصد بعض إستراتيجيّات الكتابة، في كتب المترجمات لذواتهنّ، يمكن أن يتبيّن بعض الوجهات المتّخذة من قبلهنّ، في ردم الهوّة بينهنّ وبين لغة كتابتهنّ، وهنّ يحاولن جعل الكتابة فعلا وجوديًّا إنسانيًّا لا انغراسا في اغتراب مضاعف.

لقد بدا حدث الكتابة -بالنّسبة إليهنّ- انطلاقة جديدة بعيدة عن مواضعات الكتابة التّقليديّة المتأسّسة على البنية الذّهنيّة الذّكوريّة بمختلف رمزيّاتها وتجلّيّاتها، في الخطاب المكتوب وما يمثّله من عنف رمزيّ وبلاغيّ وأخلاقيّ؛ فليست الكتابة وإستراتيجيّاتها فنونَ لغة، وإنّما حضور في اللّغة وبها، يمتاح الهويّة من داخل الذّات؛ «ومن هذا «الدّاخل المجهول» و»الدّاخل الغائب» ستتشكّل سلطة النّصّ، وستتأسّس هويّته، الّتي هي من جهة، هويّة الجسد المنتَج...ومن جهة أخرى، هي هويّة في «مفهومها السّرديّ»»، أي تلك الهويّة الشّخصيّة الّتي تنكتب من خلال العمل الإبداعيّ»[2].

يمكن أن نتلمّس ذلك في «حملة تفتيش أوراق شخصيّة»؛ إذ حاولت الزّيّات أن تطمس ملامح غربة أنطولوجيّة وإبداعيّة واجهتها لحظة الكتابة، وتجعل منها فعلا تحرّريًّا، فتحرّرت من جميع أشكال السّلطة الّتي تمثّلتها أثناء السّرد، في هذا السّياق نقارب «حملة تفتيش أوراق شخصيّة» من جهة النّصّ المصاحب لها، قبل الخوض في

(١) بنيان الفحولة أبحاث في المذكّر والمؤنّث: ٢٢.
(٢) الخطاب النّسائيّ ولغة الاختلاف: ١٣٠..

بعض التّقنيّات والمضامين اللّغويّة والماوراء لغويّة الدّاعمة الفعل الإبداعيّ التّأسيسيّ المغاير للتّمثيلات الذّكوريّة والمواصفات الاجتماعيّة والثّقافيّة السّائدة.

١-٣-١- عتبة العنوان:

يمثّل العنوان أولى العتبات الّتي يلج منها القارئُ النّصَّ، علاوة على أنّ العنوان عتبة مهمّة - خاصّة في كتابات الذّات- فيتخيّره الكاتب بعناية؛ ذلك أنّ « ارتباط العنوان بالنّصّ له دلالة تجعل العنوان اسما شخصيًّا للنّصّ، يوحي بدلالات لامتناهية تخصّ النّصّ وشخصيّاته»(١)، حتّى صار شبه مؤكّد أنّ لطيفة الزّيّات قصدت إلى العنوان قصدا؛ ف «حملة تفتيش أوراق شخصيّة» عنوان يحيل إحالة صريحة إلى السّجل البوليسيّ الموصول بعصور الظّلمات، في التّاريخ القروسطيّ للبشريّة جمعاء.

غير أنّ الشّحنة الدّلاليّة للعنوان تتأتّى من ادّعائه الاكتفاء بالإخبار عمّا لا نكتفي بالإخبار عنه؛ انتهاك الحرمة الشّخصيّة، فالتّفتيش كائن، وهو حملة، ومجالها الأوراق الشّخصيّة؛ فيطول الانتهاك الذّات، في أغوارها القصيّة وأبعادها الّتي لا يدركها إلّا الحرف ولا تعبّر عنها غير الكتابة، ومادام العنوان لم يكتف بالإخبار عن الانتهاك، فإنّ دلالته تتّسع، لا محالة؛ ذلك أنّ البؤرة الدّلاليّة متحقّقة بالتّنافر الحاصل بين «حملة التّفتيش» و»الأوراق الشّخصيّة»، فيؤول التّنافر -ضرورة- مقاومة واستبسالا في مواجهة السّلطة/السّلط الماديّ منها والرّمزيّ.

ويوحي العنوان -بدءا- بملامح الذّات صاحبة الأوراق الشّخصيّة كاتبة سيرتها الذّاتيّة؛ فنلفيها ذاتا مشتبِكة مع مختلف العناصر المركّبة للسّلطة الخارجيّة مصارعة لكلّ أشكال الهيمنة الرّمزيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة، لذلك آلت الحملةُ حملةَ تفتيش في الذّات، لاستكناه خباياها، فأصبحت الكتابة، آنذاك، كتابة في الذّات وعنها، وباتت ضربا من ضروب التّحرّر من جميع أشكال السّلطة الّتي تسيّج الذّات وتمسّ كيانها الوجوديّ والاجتماعيّ.

(١) التّمثّلات الثّقافيّة للجسد الأنثويّ: الرّواية النّسائيّة أنموذجا: ١٠٠.

١-٣-٢-عتبة الفاتحة:

فيها أحالت الزّيّات إلى لحظة مأزومة محاصَرة بالموت، تضاعف حضور الموت، في هذه الفاتحة النّصّية، مثلما تضاعف الحديث عنه؛ إذ امتدّ الموت، واستشرى، فكان احتضارا تواصل، من شهر مارس إلى شهر مايو، من سنة ١٩٧٣، ومن توغّل الموت انبجست مقاومته، بخطاب يصنع البسمات والدّعابات ويتصنّع الحياة؛ وذلك بـ»تزوير الروشتات حتّى لا يعرف أخي بطبيعة مرضه، وبحقيقة أنّه يحتضر»[١].

لكنّ المقاومة الفعليّة للموت تأتّت بفعل الكتابة، وتسنّت للكاتبة لطيفة الزّيّات، فقد اعترفت أنّ فعل الكتابة مزامن لفعل الاحتضار-ولعلّ فعل الكتابة أسبق- متوقّف بحدوث الموت، تقول:» أجلس لأكتب، أدفع الموت عنّي فيما يبدو أنّه سيرة ذاتيّة لا يكتب لها الاكتمال، يموت أخي في مايو٧٣، وتتوقّف مع موته سيرتي الذّاتيّة»[٢].

في خضمّ مراكمة الموت ومقاومته، ينشأ النّصّ السّيرذاتيّ، ومن الفاتحة النّصّيّة نشأ الميثاق السّيرذاتيّ، فيه تنزيل واع لـ» حملة تفتيش أوراق شخصيّة» ضمن جنس أدبيّ مخصوص، وفيه وعي مخصوص -أيضا- حوّل لحظة الموت إلى لحظة ولادة للنّصّ، باعتبارها محوا للعدم وإعادة بناء للهويّة المتلاشية؛ فإذا بالذّات تتحرّر من ماضيها، لتتوسّل الكتابة سبيلا إلى خلاصها من العتمة المتلبّسة بوجودها والمتسربلة بكينونتها.

تشي العتبتان الآنفتان بنزوع الزّيّات إلى نحت كيان يسعى إلى تبديد اغتراب، ولو في مستوى الكتابة، ويتعزّز هذا النّزوع إلى الحريّة والتّوق إلى الخروج من سلطة الموروث الذّكوريّ للكتابة، في جميع أشكالها الإبداعيّة في الوضعيّات الماوراء لغوية.

١-٣-٣- اللّاموقع والغضب الإيديولوجيّ:

إنّ كلّ بنيان -هو بالضّرورة- بنيان غير مرصوص، كذلك كان البنيان البطريكيّ في قيامه على منظومة قضيبيّة ذكوريّة مؤسِّسا لرؤية قائمة على الفصل الضّدّيّ بين

(١) حملة تفتيش أوراق شخصيّة: ٩.
(٢) حملة تفتيش أوراق شخصيّة: ٩.

الجسد والرّوح، العقل والوجدان، الذّكر والأنثى... يقدّم الذّكورة قيمة موجبة، ويجعل الأنوثة -بما هي ضديدة لها- قيمة سالبة؛ فتنتمي المرأة، قسرا، إلى الفئات المهمّشة المقصاة عن مقام الامتياز، مقام الذّكورة.

وتدرك المرأة الكاتبة -بما تسنّى لها من تعليم وانخراط في حركات التّحرّر الوطنيّ- أنّ «وضعيّة المرأة ليست بالضّرورة وضعيّة الإناث البشريّة، بل هي عنوان ورمز للمصير الدّونيّ الّذي يؤول إليه كلّ مَقْصِيّي النّظام الفحوليّ: النّساء والأطفال والمثليّين واللّقطاء والأقليّات الدّينيّة العرقيّة»[١]؛ هي وضعيّة افتقرت إلى السّلطة الثّقافيّة والسّلطة الأدبيّة اللّتين تؤصّلان الكيان.

فكان اللّاموقع موقعا متميّزا، منه، تنخرط الكاتبة لسيرتها الذّاتيّة، في التّعريف بذات مقهورة مستلبة، بل صار «اللّاموقع» الموقع عينه للحرّيّة وإثبات الذّات، عبّرت عنه نوال السّعداوي بقولها:» أنا أكتب إذا أنا موجودة»[٢]؛ فتُثبت ذاتا فرديّة جمعيّة، في آن واحد.

إنّ الخطاب السّيرذاتيّ الأنثويّ هو خطاب الاحتقار المنظّم والأجساد المطحونة، يضحي الانخراط فيه «شكلا من أشكال النّضال في نطاق مقولة النّوع»[٣]؛ فكان التّمرّد على مبدأ القوامة الثّقافيّة والأدبيّة، وكان الغضب من الإقصاء عن التّاريخ والحياة قطبا دلاليًّا جامعا بين الكتابات السّيرذاتيّة النّسائيّة خاصّة، وقد تواصلت مظلمتهنّ، رغم ما انخرطنَ فيه من أحداث وما حقّقن من مراتب معرفيّة.

يتجاوز هذا الغضب مستواه الانفعاليّ الشّعوريّ، مع لطيفة الزّيّات، فيكون طرقا لـ «الباب المفتوح الّذي يتيح الرّضا الحقّ عن الذّات، هو باب الانتماء إلى المجموع، إلى الكلّ، فعلا وقولا وحياة»[٤]، هو باب المواطنة الّذي يحقّق المعادلة، في نطاق إنسانيّ، ويتجاوز الحيف، في نطاق النّوع، وهو أيضا المقابل الوجدانيّ واللّسانيّ لتاريخ من الصّمت المتراكم.

(١) بنيان الفحولة أبحاث في المذكّر والمؤنّث: ١٥٢.
(٢) كتابة الهويّة الأنثويّة في السّيرة الذّاتيّة العربيّة الحديثة: ٩.
(٣) كتابة الهويّة الأنثويّة في السّيرة الذّاتيّة العربيّة الحديثة: ٨.
(٤) حملة تفتيش أوراق شخصيّة: ١٤٥.

١-٣-٤- نفي النّفي والخلافيّة:

لقد كان لتينك الخصيصتين الماورا لغويتين -اللّاموقع والغضب الإيديولوجيّ- فعلهما المخصب، في ما هو لغويّ، ذلك أنّ الانخراط في الكتابة -هو في واقع الأمر- انخراط في نفي النّفي؛ نفي السّلطة الذّكوريّة ونفي السّلطة الأدبيّة، وهو التزام بإثبات فرديّة الذّات الأنثويّة، عبر الانتقال من شعريّة الذّكورة إلى شعريّة الأنوثة.

شعريّة تُحقّق، بدرجة النّجاح في خلق مرجعيّات جديدة، غير المرجعيّات الذّكوريّة، فتحوّل الكتابةَ إلى فعل خلق لمرجعيّات جديدة «أنثويّة»، وتتلبّس الكتابةُ بمعنى الأمومة، باعتبارها علامة فارقة عن الكتابة الذّكوريّة، فتتحقّق الشّعريّة، بالانصهار الرّمزيّ بين الحميم البيولوجيّ والمخيال الكتابيّ، فـ«حملة تفتيش أوراق شخصيّة» خراب جميل أحدثته لطيفة الزّيّات، في جسد اللّغة.

حمل المتناقضات، فأرهقه حملها، إلى أن تمخّضت سيرة ذاتيّة شديدة الأنوثة، بنصّ مشاكل للوجود الأنثويّ، في جماليّة غير الجماليّة النّمطيّة؛ وإنّما هي جماليّة متحقّقة بفعل التّبعيد الّذي تمارسه الكتابة، إذ تجعل الكتابةُ اللّغةَ وسيطا خارجيًّا يفصل بين الذّاتيّ والموضوعيّ، فتستعيد الزّيّات كيانها الضّائع، وتمنحه البنية السّرديّة التّعريفيّة لمشروعها الذّاتيّ المشحون، بتجربة صاحبتها المتعدّدة الأبعاد النّفسيّة والجسديّة، في سجل تعبيريّ صوفيّ ذي الأبعاد الدّلاليّة المفارقة للدّلالات المعجميّة الوصفيّة، شعارها في ذلك «جديد الشّيء قديمه»، فتحقّق المعادلة بين الكتابة والحياة[1].

وحسبنا أن نشير إلى تلك المقطوعات الشّعريّة المبثوثة في متن السّيرة الذّاتيّة أو تلك المواضيع الّتي توسّلت فيها الزّيّات بالمعاني الصّوفيّة الشّعريّة للتّعبير عن حسّ أنثويّ فريد يقطع مع اللّغة الذّكوريّة، لا سيما وهي تصف حبّات البرد المتساقط على شعرها الأسود ليلتحف الكون برمّته بالبياض[2].

(1)-Le contexte de l'œuvre littéraire, Enonciation, écrivain, société : 46 : « Nous parlerons de bio/graphie, avec une barre qui unit et sépare deux termes en relation instable. « Bio/graphie » qui se parcourt dans deux sens : de la vie vers la graphie ou de la graphie vers la vie »

(٢) حملة تفتيش أوراق شخصيّة: ٣٥.

لقد أدركت الزّيّات من خلال تجربتها أنّ تأصيل الكيان الاجتماعيّ يمرّ ضرورة عبر تأصيل الكيان اللّغويّ، فخلال إدراكها عمق تجربتها الوجوديّة واللّغويّة ووعيها بانغلاق الأفق اللّغويّ الذّكوريّ أمامها راحت تحفر، في مواضع بكر من الكيان اللّغويّ، لم يبتذلها الإبداع الذّكوريّ، وتشحنها بدلالات جديدة وإيحاءات مبتكرة؛ إذ الكتابة النّسائيّة «تميل، في الغالب الأعمّ، إلى خلق نظام آخر مارق عن القانون، بطريقة عفويّة، لا في مستوى الشّخصيّات فحسب، ولكن في نسيج الصّور والأحاسيس»(١).

انخرطت الزّيّات، في هذه اللّعبة الخطرة، وأخصبت على أوراقها الشّخصيّة لغة فريدة ومعاني بكرا كثيفة الإيحاء والترّميز؛ جمعت بين الشّعر والفلسفة وبين العشق والنّضال، فحلّت الزّيّات في اللّغة حلول الصّوفيّ، وابتدعت لغة صوفيّة، تبتهل عاشقة الوجود، وتقف على تخوم عشق، لم يعرفه الذّكر، ولم تفصح عنه لغته.

فكانت مرجعيّتها اللّغويّة أنثويّةً تخصب، في أرض الفحولة، وعلى مشارفها تعمل «على تفادي منطق الكتابة النّسقيّة ونظامها المتماسك اتّساقا وانسجاما، وتعتمد في المقابل شعريّة الانفصال، وتتكئ على بلاغة التّشظّي، فيها تحضر الذّات وما تستلزمه الذّاتيّة من حرّيّة، ويشتغل التّخييل بما يطلبه من الانزياح، وتتقطّع السّبل بالنّصوص على صفحات الكتاب فراغا وامتلاء وانفصالا واتّصالا، وتختلط الأجناس والأنواع وتتضايف النّصوص في شكل مقطوعات وفقرات ومقتبسات، بينها بياضات واصلة، وفواصل تتأرجح بين النّطق والصّمت، تعبّر عن الذّات في حالات انشطارها وتمزّقها»(٢).

رغم انشداد الكتابة السّيرذاتيّة إلى موروث كتابيّ ذكوريّ، مثّل السّلطة الرّمزيّة المرجع، وصَعُب إقصاؤها، لحظة الكتابة؛ فإذا الكاتبات يستدعين ذلك الموروث، بالفعل أو بالقوّة، وجدنا بعض التّجارب النّسائيّة -ومنها «حملة تفتيش أوراق شخصيّة»- استطاعت الانفلات من عقال الذّكورة المنغرسة -على حد سواء- في اللّغة والفضاء والوجود، وألفيناها تنحت لنفسها مسارا خطابيًّا إبداعيًّا نسائيًّا متفرّدا، تشكّلت معه ملامح أنثويّة، سرعان ما تخلّصت من اغترابها، فتستوي الكتابة إستراتيجيّة حرّيّة وصياغة لرؤى جديدة، لثقافتنا الموغلة في التّقليد.

---

(1) L’écriture- femme : 37.

(٢) التّخييل الذّاتيّ في السّرد العربيّ المعاصر: ٢٠٤.

٢- إستراتيجيّات الكتابة في حملة تفتيش أوراق شخصيّة:

لئن بدت اللّغة وفعل الكتابة -تحديدا- أداة لإدراك الذّات وبناء وعيها بذاتها، فإنّ الكتابة تظلّ فعل تبعيد، بما هي مؤسَّسة لغويّة مفروضة على الكاتب المنخرط في نسقها اللّغويّ، غير أنّ هذا التّبعيد لا يلبث أن يصبح مطلب الكاتب السّيرذاتيّ، في سياسة الكلام، ومقصده، في صياغة الخطاب، فتتاح له مكوّنات الذّات، ويتسنّى له ترميم معالمها؛ ذلك أنّ «البحث عن الهويّة في هذا الشّكل التّعبيريّ يقوم على تفكيك هذه الهويّة وتمكين الكاتب من معرفة أعمق بذاته واكتشاف مختلف وجوهها ونسخها»[١].

وهو أمر لا يؤتى، في مشروع سيرذاتيّ، خارج الهويّة السّرديّة المتحقّقة عبر ممارسة الكتابة؛ فـ«الهويّة السّرديّة يفجّرها الرّاوي السّيرذاتيّ زمن الكتابة، تتدارك غفلة الكاتب عن العوامل المحرّكة لوجوده المبهم»[٢]، ممّا يترتّب عنه تواشج بين الهويّة السّرديّة المتحقّقة كتابةً ودرجة الوعي المدرَكة بفعل الكتابة، والفصل بينهما فصل إجرائيّ.

ولو لم يكن الأمر كذلك لانعدم الوعي بالذّات، لحظة اضمحلال تلك الهويّة المشكَّلة سردا؛ وهو ما أقرّه بول ريكور، حين أكّد استحالة المقولة «اعرف نفسك بنفسك»، خارج وساطة الرّموز اللّغويّة إستراتيجيّات السّرد، وكذلك هو الأمر في المشروع السّيرذاتيّ برمّته[٣]، طرافة تؤكّدها الإستراتيجيّات الكتابيّة، في «حملة تفتيش أوراق شخصيّة» للطيفة الزّيّات، مادام المشروع السّيرذاتيّ مغامرة تلفّظيّة، تقوم على إستراتيجيّة أساسيّة.

هي سمة الكتابة السّيرة الذاتيّة؛ إذ هي سرد ارتجاعيّ، ينتقي خلاله الكاتب السّيرذاتيّ الأحداث الّتي يراها -من منظوره هو- دالّة على معنى تجربته في الحياة، فتحقِّق صورته الذّاتيّة، وتحافظ على تضاريس شخصيته، باعتبارها ذاتا مختلفة فريدة غير متكرّرة، غير أنّ خصوصيّة الموقع الّذي يأتي منه الكاتب السّيرذاتيّ فعل التّأريخ

(1) Littératures intimes : Les expressions du moi, de l’autobiographie à l’autofiction : 79.

(٢) كتابة الذّات في السّيرة الذّاتيّة وتجلّياتها لدى لطيفة الزّيّات ونوال السّعداوي: ١٧٣.

(٣) كتابة الذّات في السّيرة الذّاتيّة وتجلّياتها لدى لطيفة الزّيّات ونوال السّعداوي ١٧٨.

لذاته، يستدعي المزيد من آليّات التّبعيد ومن الإستراتيجيّات الكتابيّة المتقصيّة للذّات المجلية لسماتها، ذلك أنّ كلّ تركيب نحويّ انزياح، ولكنّه أثر في الآن نفسه(١).

لذلك بدا موقع لطيفة الزّيّات-كاتبة لسيرتها الذّاتيّة- مثقلا بالخصوصيّات الفكريّة والاجتماعيّة والسّياسيّة والنّوعيّة، وهو ما جعلها تحفر في اللّغة، وتعدل إلى أساليب في القول وطرائق مستحدثة لتكون أصدق، من منظور سيرذاتيّ، في تعريف ذاتها والتّعرّف إليها.

فما هي الإستراتيجيّات الكتابيّة الّتي عمدت إليها لطيفة الزّيّات في استجلاء العلامات الفارقيّة لذات تنتقل من الوجود الاجتماعيّ إلى الوجود اللّغويّ؟ وإلى أيّ حدّ بدت الإستراتيجيّات المتوّخاة مؤسّسة لكيان أنثويّ، يدرك اختلافه، ويقبله علامة من علامات هويّته المتفرّدة؟

٢-١- الهويّة السّرديّة ولعبة الضّمائر:

إنّ انخراط لطيفة الزّيّات، في الكتابة السّيرذاتيّة، هو في الواقع انخراط واع، في السّفور الحقيقيّ؛ سفور تحقّقه الكتابة عامّة، وتراهن عليه الكتابة السّيرذاتيّة خاصّة، فأسّها فكّ إشكال الأنا، بالكشف عن مقوّمات الهويّة والتّعريّة عنها، سعيا إلى استنباط صورة الذّات ولمِّ شتاتها، « فالوعي بحدود الهويّة، وكذلك السّعي إلى فهمها وتفكيك طلسمها، لا يكون بطريقة مباشرة وإنّما بالالتفاف حول اللّغة في مختلف مقاماتها التّداوليّة، لأنّها طريق يمكّننا من الخوض في شعاب الذّات وتعرّجاتها، بما يكشف أنّ الهويّة لا تتوضّح في الارتباط بالأصل الجوهريّ والأنا والتّفكير فقط، وإنّما بالفعل وبالتّواصل...ونشير هنا إلى أنّ البعد الرّمزيّ أساسيّ في تحقّق الفعل وتسريده لأنّ الفعل خارج الزّمن يضحي محض تجريد»(٢).

يجعل هذا الرّهان الّذي تقوم عليه السّيرذاتيّة من الأنا السّيرذاتيّ متشظّيا بالقوّة، فالفصل حاصل بين الذّات الكاتبة؛ أي الكيان الاجتماعيّ الثّقافيّ ذي الوجود الفعليّ في العالم الحقيقيّ، وبين الرّاوي السّيرذاتيّ؛ أي الصّوت اللّغويّ، من جهة أولى، وبين

(1) Syntaxe ou l’autre dans la langue : 42.

(٢) الهويّة السّرديّة للبطل في نماذج من القصص العربيّ القديم: ١١٦.

الشّخصيّة السّيرذاتيّة الحاضرة بفعل الكتابة والمتطابقة مع الذّات الحقيقيّة للكاتب خارج أطر السّرد، من جهة ثانية.

هذه الوضعيّة من التّشظّي المبدئيّ هي الوضعيّة الّتي ينشأ فيها فعل الكتابة، في السّيرة الذّاتيّة، فالذّات السّيرذاتيّة تقاطعٌ لذوات منقسمة وتداخلٌ بينها، وإن جمع بينها ضمير موحّد «أنا»، ولعلّ وعي الزّيّات بخلافيّة الجنس الأدبيّ الّذي تنخرط فيه جعلها تعي ضرورةَ صياغة الأنا المشكليّ، في شكل فنّيّ متميّز؛ إذ هو الأقدر على الإيفاء بخصوصيّات أناها، بأبعاده المتعدّدة، فكانت لعبة الضّمائر.

لئن كان الأنا الضّمير الكلاسيكيّ المهيمن على أساليب السّرد الذّاتيّة، فإنّ ذلك لا يعني اختصاصه -دون سواه- بوظيفة الرّبط، «بصورة مباشرة بين الخطاب من ناحية والشّخصيّة الواقعيّة من ناحية أخرى»[1]؛ لهذا الضّمير حضور واضح، في سيرة الزّيّات الذّاتيّة، بوصفه محيلا -في عمقه- إلى شخص الكاتبة بأبعادها الأنطولوجيّة والنّفسيّة، «إنّ امتلاك ضمير «أنا» كان بالنّسبة للمرأة فتحا مهمّا، سيقود إلى الإعلان في المرحلة الثّانية، عن تأسيس مبدأ «الهويّة الأنثويّة»...إنّها تكاد تكون ثورة ضدّ النّزعة العالميّة الشّموليّة، والأحاديّة المركزيّة، والمنطق الأحاديّ»[2]، واللاّفت، في حضور هذا الضّمير -عند الزّيّات- وروده مفردا متكلّما ووروده جمعا، في لهاث وراء هويّة، على تملّصها من وعي الكاتبة، بدت منذ اللّحظات الأولى لتجلّيها مشدودة إلى قطبين لا ينفصلان: قطب الذّات المفردة وقطب الذّات الجمعيّة، فيتحقّق التّوازن تبعا لعلاقات المدّ والجزر، بين ذينك القطبين.

هذا الوعي الّذي تتميّز به الزّيّات -على جدليّته- ظهر مبكّرا، في حياتها؛ فهو المعجزة الّتي حدثت فجأة، في يومها الدّراسيّ الأوّل، في روضة المنصورة، معجزة التّواصل المتحقّق بينها وبين الآخر، مثّله الولد الّذي نجح، في إخراجها، من عزلتها وانزوائها، فاستجابت للنّداء الصّامت الملحّ السّاكن، في عين الطّفلة الّتي كانت الزّيّات، وكسر الولد عزلة الطّفلة الوافدة، على روضة الأطفال ومدينة المنصورة، تذكر قائلة: « وفجأة وجدته يسحبني من يدي على داخل الحلقة وهو لم يزل يتغنّى بالمقطع الموسيقيّ الّذي يكمله الجميع، وأسلمت يدي الأخرى إلى البنت المجاورة،

(١) مقوّمات السّيرة الذّاتيّة في الأدب العربيّ الحديث: بحث في المرجعيّات: ١٢٤.
(٢) الخطاب النّسائيّ ولغة الاختلاف: ١٣١.

وانكسرت عزلتي، وتحقّق ما أردت دائما ومازلت أريد: أن أصبح جزءا من الكلّ، وانطلقت منتشية، أغنّي بأعلى صوتي مع الكلّ أغنية الكلّ»[١].

ترافق هذه الرّغبة في التّوحّد بالآخر كلّ مراحل حياة لطيفة الزّيّات، وتحضر في كلّ تجاربها مناضلة أو سجينة بين السّجينات، تستر عريهنّ مؤكّدة الوعي بأنّها كائن جمعيّ، يتحقّق وجوده، بدرجة انخراطه مبادرة ووعيا مع الآخر الّذي لا يعدو أن يكون صورة عنه وصورة منه؛ «فالمرأة في صورتها الذّهنيّة الرّاسخة كائن اندماجيّ، وليست كائنا مستقلّا، إنّها وسط الآخرين وفيهم ومنهم وبهم»[٢].

وإن كان وعي الزّيّات، بهذا الانشداد للآخر والحاجة إليه هذه الحاجة العضويّة، ليس انشداد تبعيّة، بل هو انشداد انعتاق وتحرّر جمعيّ، يدافع عن الإنسان، في مفهومه الأصيل.

تنزاح الكاتبة عن هذه الثّنائيّة من الضّمائر المحيلة صراحة إلى حضور جدليّ لتتخفّى وراء ضمائر الغيبة، وتستبدل الحضور بالغياب، في سياسة من التّبعيد جرّبه طه حسين قبل، غير أنّ الزّيّات لا تكتفي بصورة الصّبيّة، وإنّما تشفعها بصور أخر؛ فهي الصّبيّة والفتاة والمرأة في مقتبل العمر وامرأة سجن الحضرة والمرأة في بداية زيجتها الثّانية.

إنّ التّبعيد تغييب مقصود تروم من إجرائه الفصل بين أنا كلّيّ حاضر لحظة الكتابة وأنوات كانت عليها، في أطوار من حياتها؛ تبعيد لغويّ علامته ضمير الغيبة «هي»، ذلك أنّ» الغاية من تفجير الأنا في السّرد السّيرذاتيّ وتمثيل صوره هو إذن الإحاطة بمختلف أبعاد التّركيبة الذّاتيّة لغاية عزل عناصرها والسّيطرة عليها ثمّ إعادة بنائها»[٣]، ولذلك كان الغياب تكثيفَ حضور ولمَّ شتات الذّات.

إنّ جانبا كبيرا من شعريّة الكتابة السّيرذاتيّة متأت من كونها كتابة مرجعيّة صادرة عن أنا أصليّ واقعيّ، يحيل إليه اسم علم، يسترجع أحداثا حصلت في الواقع ويعتصرها من الذّاكرة، غير أنّ الإخبار، في السّيرة الذّاتيّة، إخبار مخصوص، يتجاوز مقولة الصّدق الأخلاقيّ، ويتجاوز مقولة الحقيقة، ليعتني بالعناصر الفنّيّة الّتي تميّزه، وعلى

(١) حملة تفتيش أوراق شخصيّة: ٥٠.
(٢) المرأة واللّغة: ١٣١.
(٣) كتابة الذّات في السّيرة الذّاتيّة وتجلّياتها لدى الزّيّات والسّعداوي: ١٧٢.

تلك العناصر الفنّيّة تتأسّس «حقيقة»، نسلّم بصدق الكاتب السّيرذاتيّ في عرضها.

إنّه إخبار، ينبئ عن الأنا السّيرذاتيّ، ويرد عبر صوت لغويّ؛ هو صوت الرّاوي السّيرذاتيّ، لعلّ هذا الصّوت هو كما عرّفه نجيب محفوظ في روايته «عصر الحبّ» قائلا: «يقول الرّاوي، ولكن من الرّاوي؟ ألا يحسن أن نقدّمه بكلمة؟ إنّه ليس شخصا معيّنا يمكن أن يشار إليه إشارة تاريخيّة، فلا هو رجل ولا هو امرأة ولا هويّة ولا اسم له، لعلّه خلاصة أصوات مهموسة أو مرتفعة تحرّكها رغبة جامحة في تخليد الذّكريات»[1].

كذلك كان الصّوت السّيرذاتيّ في «حملة تفتيش أوراق شخصيّة» «فعلا وجوديًّا حيويًّا، يفجّر في الخطاب حوارا متعدّد الأطراف والأصوات، ويخوض مغامرة بناء وعي سرديّ بالأنا الواحد المتعدّد يتجلّى في صورة لفظيّة ترسم تضاريس شخصيّة الكاتب النّفسيّة والذّهنيّة»[2]، وقد استحال إدراك حقيقة الكاتب السّيرذاتيّ، خارج الهويّة السّرديّة المتشكّلة في الخطاب عبر التّرميز اللّغويّ.

٢-٢- إستراتيجيّة السّرد في «حملة تفتيش أوراق شخصيّة»:

إنّ الصّورة النّمطيّة الّتي تُخرج عليها الأحداث، بعد تعالقها تعالقا يصرّح به فعل الكتابة، هي الصّورة المنتجة للمعنى، فيغيب كلّ من الكاتب والقارئ، ليحافظ النّصّ على وجود له مستقلّ، نعته بول ريكور بـ»عالم النّصّ»؛ ذلك أنّ حضور المبدع، في نصّه، حضور محجوب، ينوب عنه المقام اللّغويّ، ويشهد عليه، والكاتب يحضر، من خلال صنعته اللّغويّة الّتي يجسّمها خير تجسيم أسلوبُه[3].

وتدّعي السّيرة الذّاتيّة هذه النّيابة، وتزعمها، لذلك كانت البنية السّرديّة المؤسَّسة، في النّصّ السّيرذاتيّ، بطاقة هويّة كاتبها، والنّصّ السّيرذاتيّ، في نهاية المطاف، «نظام سرديّ قائم على مفهوم الحبكة المتماسكة والوعي المتدرّج المتناغم بالأنا في

(١) بنيان الفحولة: أبحاث في المذكّر والمؤنّث: ٥٧.
(٢) كتابة الذّات في السّيرة الذّاتيّة وتجلّياتها لدى الزّيّات والسّعداوي: ١٦٦- ١٦٧.
(٣) مقوّمات السّيرة الذّاتيّة في الأدب العربيّ الحديث: ٥٢.

صيرورته الكتابيّة»[١].

ومعلوم -كذلك- أنّ نشأة السّيرة الذّاتيّة العربيّة الحديثة، في بدايتها، نشأة ذكوريّة، مع جيل الرّوّاد من أمثال طه حسين وأحمد أمين وتوفيق الحكيم وغيرهم؛ وهم -على اختلافهم- اشتركوا في توجّههم الحداثيّ وما عاشوه -تبعا لذلك- من صراع فكريّ وإيديولوجيّ، مع بيئة رأوها متخلّفة محافظة، وكان هذا المشترك من التّجربة الحياتيّة قد قارب بين منتجاتهم السّيرذاتيّة، وإن اختلفت محافظةً على خصوصيّة كلّ منها، فاحتكمت سيرهم الذّاتيّة إلى نظام تعاقبيّ زمنيّ وحدثيّ، تشكّل، في إطار المنظور الارتجاعيّ، على نسبيّة التّعاقب فيه؛ فقد «تطوّر في النّهاية إلى رؤية تأويليّة تتعالق صلبها الأحداث المفردة المسرودة تعالقا تفسيريًّا، يجعل منها بنية معقولة متماسكة، غايتها الأولى إنتاج هويّة سرديّة معرّفة باسم العلم الّذي يحيل إليه اسم المؤلّف الماثل على غلاف الكتاب»[٢].

غير أنّ هذه النّصوص السّيرذاتيّة العربيّة لم تعرف فتنة التّأنيث، فلم تشوّشها مثلما تشوّش الأنثى حضور الذّكور، وغابت الخصوصيّة النّوعيّة، في صراع جيل الرّوّاد، من المترجمين لذواتهم العرب، لأنّهم يكتبون -رغم كلّ شيء- في ظلّ الذّكورة الرّاسخة القدم، في مجتمعاتهم وذواتهم، وحضرت الخصوصيّة النّوعيّة المتمثّلة في الأنوثة، في كتابات النّساء المترجمات لذواتهنّ، واشتركن في التّعبير عنها، وإن اختلف التّعبير واختلفت تجلّياته عندهنّ، لقد كان لهذا المحدّد النّوعيّ وقعه الواضح، في «حملة تفتيش أوراق شخصيّة»، الّتي شنّتها الزّيّات، على حياتها، وفي أعماق ذاتها، فشوّش نظام السّرد وشتّته، واضطرب النّصّ لوقعه.

إنّ كتابة السّيرة الذّاتيّة حدث يقصده صاحبها ويحتفي به، احتفاءه بنحت آخر تماثل عن ذاته، وكأنّه استجمع شتاته، عبر الزّمن الّذي عاشه، غير أنّ هذه القصديّة، لم تكن حاضرة -في بادئ الأمر- عند الكاتبة لطيفة الزّيّات «فلم يكتب نصّ الزّيّات دفعة واحدة، ولم يكن أصلا سيرة ذاتيّة مبرمجة، تنشأ عن لحظة سرديّة واحدة وموحّدة لفعل الاستذكار الاجتماعيّ، كما هو الشّأن عادة في كتابة السّيرة الذّاتيّة الكلاسيكيّة»[٣].

(١) كتابة الهوية الأنثويّة في السّيرة الذّاتيّة العربيّة الحديثة: ١٣.
(٢) كتابة الهوية الأنثويّة في السّيرة الذّاتيّة العربيّة الحديثة: ١٣.
(٣) كتابة الهوية الأنثويّة في السّيرة الذّاتيّة العربيّة الحديثة: ١٤.

لكنّ الكاتبة قد تقصّدت أمورا أخرى، لعلّ أهمّها وأبلغها أثرا، في كتابتها السّيرذاتيّة، ما تميّزت به من بنية سرديّة مخصوصة، مخّضتها لمواجهة الموت، بمختلف أشكاله الحاضرة في حياتها؛ فقد انبثقت سيرتها من رحم الموت، وما فتئت تصارعه، وتواجه كلّ أشكاله المتخفّية في حياتها، كذلك صرّحت، في فاتحة سيرتها الذّاتيّة، قائلة:» أجلس لأكتب، أدفع الموت عنّي فيما يبدو أنّه سيرة ذاتيّة لا يكتب لها الاكتمال، يموت أخي في مايو ١٩٧٣، وتتوقّف مع موته سيرتي الذّاتيّة»[١]، إضافة إلى تقصّدها الجمع بين سرد مسيرتها الحياتيّة ومسيرتها الإبداعيّة، تراوح بينهما، دون انتظام واضح، فتتوفّر، في نهاية الحكي، بنية سرديّة أساسها التّبعثر وشعارها اللّانتظام.

ورغم توزّع النّصّ السّيرذاتيّ إلى جزأين، واضح الفصل بينهما عنونة وتأريخا وبياضا، فإنّ تداخل المرويّات بين الجزأين قائم ومتجاوز، لكلّ أشكال الفصل، وحكاية الذّات، وإن انقسمت إلى ما قبل الزّيجة الثّانية وما بعدها، تظلّ مليئة بالفجوات تؤسّس لهويّة سرديّة ملائمة لبنية الخطاب؛ إذ «فعل كتابة الهويّة يشكّل بذاته ضربا من مشابهة القول لماهية المقول»[٢] وتَبعثر البنية السّرديّة مظهرٌ من تشظّي الأنا السّيرذاتيّ وقلق الذّات، وهي تروي حكايتها.

فكانت الحركة القصصيّة المرويّة حركة داخليّة؛ غوص في أعماق الذّات، ترصد الوقائع المؤثّرة في الشّخصيّة والقادرة، باجتماعها، على تأليف المعنى الكلّيّ لتجربة صاحبتها؛ إذ تصرّح الزّيّات، معلّقة على عنوان سيرتها الذّاتيّة:» وحملة التّفتيش تنطوي كما تنطوي الرّواية على رحلة تعلّم وتبديد للأوهام واكتشاف للحقائق الرّئيسيّة في الحياة، وحملة التّفتيش الّتي تتمّ على المستوى المادّيّ في السّجن، إنّما تكنّي عن حملة التّفتيش في الذّات الّتي تجري على المستوى المعنويّ في السّيرة بأكملها، وكلّ هذه العوامل تجعل العمل ينأى عن السّيرة التّقليدية، ويقترب من شروط الرّواية، وتداخل الأنواع هنا يخدم في نهاية المطاف ما يستهدفه كاتب السّيرة من الإدلاء بجوهر تجربته، لا بتفاصيلها الّتي قد لا تهمّ في تقويم التّجربة»[٣].

إنّ نصّ الزّيّات نصّ يقع على التّخوم؛ تخوم الرّواية، بما هي ملفوظ تخييليّ، له

(١) حملة تفتيش أوراق شخصيّة: ٩.
(٢) كتابة الهوية الأنثويّة في السّيرة الذّاتيّة العربيّة الحديثة: ١٤.
(٣) البنية الفنّيّة في حملة تفتيش أوراق شخصيّة للطيفة الزّيّات: ٢١-٢٢.

خصوصيّته، وتخوم السّيرة الذّاتيّة، بما عدلت عنه من سنن في كتابة السّيرذاتيّة العربيّة الكلاسيكيّة؛ فما كتبته الزّيّات ليس «بسيرة تقليديّة رغم المادّة الذّاتيّة المتمثّلة في أوراق شخصيّة، هذه محاولة شخصيّة لمواجهة الذّات وتحطيم الأساطير والأوهام بغية التّعرّف بشكل أدق على الذّات، وهي محاولة غاية في الذّاتيّة يخوضها إنسان واع ولا يفصح عادة عنها شاءت الكاتبة أن تشارك فيها قارئها»(١).

٢-٣- إستراتيجيّة الزّمن في حملة تفتيش أوراق شخصيّة:

تجعل الطّبيعةُ السّرديّة للملفوظ السّيرذاتيّ الكتابةَ متحرّكة، بين زمنين؛ هما زمن التّلفّظ وزمن الحكاية، ومعلوم أنّ غاية الكتابة أن تكون نشاطا حيويًّا، يساهم في بلورة وعي مزامن للفعل الكتابيّ، يمارس نفوذا على المرويّات، ويشكّل صورة للذّات، موزّعة على مدى الزّمن الّذي عاشته، فيشبه تصرّف الكاتب السّيرذاتيّ، في الزّمن، تصرّفه في السّرد، من حيث الانتقاء والتّنظيم والتّفكّر، به يحصّل معنى مسيرته الحياتيّة المُتقصّى؛ إذ هو صانع سيرته، لذلك فإنّ درجة التّصرّف في الزّمن في «حملة تفتيش أوراق شخصيّة» شديدة الإحالة إلى صاحبتها، فأتى الزّمن إشارات زمنيّة لم تنتظم، وإن انقسمت انقساما واضحا، في لحظة فارقة من حياة الكاتبة: «في يوم من أيّام يونيه ١٩٦٥»(٢)، إلى ما قبل زيجتها الثّانية وما بعدها، فتحافظ الإشارات الزّمنيّة على نتوءاتها، بما تقترن به من توثيق لوقائع مؤثّرة في حياة الكاتبة أو تأريخ لنشأة بعض نصوصها الإبداعيّة، وبما يتخلّلها من لواحق واسترجاعات ووقف(٣)...

غير أنّ الزّمن ما إن يؤسّس معنى التّبعثر واللّاانتظام، حتّى يغادره إلى معنى أعمق وأرسخ في سيرة الكاتبة؛ فهو زمن مؤلم، قام على ثنائيّات متضادّة متقابلة، أخصبت المعنى الحقيقيّ لسيرة الزّيّات؛ فالزّمن عندها لا يعدو أن يكون صراع الأضداد، أبرز

(١) حملة تفتيش أوراق شخصيّة: ٣٥.

(٢) حملة تفتيش أوراق شخصيّة: ٦٧.

(3)-L'écriture- femme : 32-33 : «Il est possible aussi que la femme ressente le temps autrement que le fait l'homme, puisque son rythme biologique est spécifique. Temps cyclique, toujours recommencé, mais, avec ses ruptures, sa monotonie et ses discontinuités…Peut-être pour la femme, plus que pour l'homme, le temps est-il perceptible en dehors de l'événement, parce qu'elle porte en elle ses propres événements »

طرفيه ما يوحي بالاندثار والتّغيّر وما يكسب القدرة على الاستمرار في الحياة ومواجهة الزّمن، لذلك عجزت عن إدراكه طفلةً حين:» لم تدرك الطّفلة أنّ خيوط الموت الخفيّة تطوّقها، وهي ترقب بانبهار يتجدّد مع الأيّام الزّهور البريّة تشقّ حيطان سور البيت القديم وتتعالى مجلوة فوق القدم والعنف والرّكام، ولا الصّبيّة اللّاهية أدركت»[1].

ولكن أدركته الكاتبة بحسّها الإنسانيّ والأنثويّ، حين «تراجع الزّمن التّعاقبيّ، بعد أن كان قد فقد قيمته لصالح الزّمنيّة السّرديّة»[2]؛ تراجع ليس هو بالاستجابة الفنّيّة الخالصة ولا الجماليّة البحتة، بقدر ما هو استجابة لوجود أنثويّ، يكتب ألمه ويؤرّخ له، بل إنّه وجود يرحّب بالألم ورموزه، لأنّه «ليس مجرّد تاريخ لحوادث الحياة وظروفها، ولكنّه عمق ثقافيّ ونفسيّ، جعل مي زيادة تقول «إنّ تاريخ المرأة استشهاد طويل»»[3].

تحقّق سعي الزّيّات، إلى لملمة شتات ذاتها وتجديد الوعي بها، عبر مستويات من التّصعيد، وفّرتها بنية سرديّة مبعثرة، وتعاقب زمنيّ يرفض الانتظام، وتفجير للأنا إلى أنوات؛ فتعاقدت هذه التّقنيات الثّلاث المتوخّاة في مسار السّرد السّير ذاتيّ، لتصوغ هويّتها السّرديّة، وتبني وعيا بها مزامنا لفعل الكتابة، كانت قد افتقرت إليه، قبل الانخراط، في لحظة كتابة سيرتها الذّاتيّة، وما كان لها أن تبلغ، ذلك الوعي، خارج النّسق اللّغويّ وآليّاته التّعبيريّة.

خاتمة:

حاولنا النّظر في العلاقة الجامعة بين سلطتين: سلطة الكتابة وسلطة الذّات الكاتبة الباحثة عن وعيها كتابةً؛ وهما سلطتان -على تصارعهما- لا غنى لهما عن بعضهما البعض، خاصّة في جنس السّيرة الذّاتيّة، ذلك أنّ الهويّة السّرديّة المتحقّقة نائبة عن هويّة الكاتب المتعدّدة الأبعاد، وكلّ منخرط في كتابة سيرته الذّاتيّة محكوم ضرورة بسلطة الجنس الأدبيّ الّذي يستحضر نماذجه، عن وعي أو عن غير وعي، وهو إلى جانب ذلك محكوم بلغة غيريّة يطوّعها حتّى تقترب منه؛ فتنكشف ذاته، متفرِّدة لغةً

(١) حملة تفتيش أوراق شخصيّة: ٣٥.
(٢) مقوّمات السّيرة الذّاتيّة في الأدب العربيّ الحديث: ٥٢٢.
(٣) المرأة واللّغة: ٩.

وتجربةً ووجودًا، وهكذا تستقيم الكتابة السّيرذاتيّة مغامرة وجود فعليّ ومغامرة وجود لغويّ، تستمدّ ثراءها من درجة اختراقها لسلطة الأنموذج وسلطة اللّغة.

وفي حملة «تفتيش أوراق شخصيّة» يصدق اعتبار قوسدورف الكتابات الذّاتيّة «كتابات من لحم ودم»؛ فقد نزفت أنامل الزيّات، وهي تحفر في لغة الذَّكر وتنفلت من عقالها، وطفقت تنحت لنفسها خطابا إبداعيّا متفرّدا بأنوثته، تتخلّص، عبره، من اغترابها، فتضحي الكتابة إستراتيجيّة حريّة وإثباتا للذّات؛ ذلك أنّ التّموقع المخصوص الّذي بُليت/حظيت به لطيفة الزيّات؛ امرأة عربيّة وكاتبة متعاطية للنّشاط السّياسيّ، جعلها تخجل من جسدها الممتلئ الغنيّ بالاستدارات، وجعلها تصادر أنوثتها في نضال سياسيّ مرير، أحيانا، وفي استسلام للمواضعات الاجتماعيّة أمرّ منه، أحيانا أُخَر، وهو ذات التّموقع الّذي جعلها تعي ذاتها، باعتبارها ذاتا مختلفة عن الآخر/ الذّكر، بل هي تقبل تلك الذّات، بعد أن تصالحت معها ومع الآخر، في رؤية نفذت إلى العمق الإنسانيّ الجامع بينها.

فكانت «حملة التّفتيش» سيرة ذاتيّة خلافيّة في لغتها وفي بنيتها وفي تجربتها، وهي من هذه الزّاوية تجربة أصيلة، لما زخرت به من قيمة إنسانيّة صادقة، وهي علاوة على ذلك، تجربة كثيفة في طاقتها التّعبيريّة الاستثنائيّة، لما نطقت به من معاناة صادقة وصراعات كثيفة الدّلالات، تؤكّد بذلك القيمة الأنثروبولوجيّة للكتابة السّيرذاتيّة -عامّة- وللكتابة السّير ذاتيّة النّسائية -خاصّة- وتذكّر بأنّها كتابة تستمدّ خلافيّتها وعمقها من الدّوافع الأنطولوجيّة الّتي تخصب منها.

المصادر والمراجع

١. بنيان الفحولة أبحاث في المذكّر والمؤنّث، رجاء بن سلامة، دار المعرفة للنّشر، تونس، ط١، د ت.

٢. البنية الفنّيّة في حملة تفتيش أوراق شخصيّة للطيفة الزّيّات، سامي السّالمي، بحث شهادة ماجستير، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة تونس، ٢٠٠٥.

٣. التّخييل الذّاتيّ في السّرد العربيّ المعاصر، فتحي فارس، زينب للنّشر، تونس، ط١، ٢٠٢٠.

٤. التّمثّلات الثّقافيّة للجسد الأنثويّ: الرّواية النّسائيّة أنموذجا، عبد النّور إدريس، منشورات دفاتر الاختلاف، المغرب، ط١، ٢٠١٥.

٥. حملة تفتيش أوراق شخصيّة، لطيفة الزّيّات، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، ط٢، ٢٠٠٤.

٦. الخطاب النّسائيّ ولغة الاختلاف: مقاربة للأنساق الثّقافيّة، فاطمة كدو، دار الأمان، الرّباط، ط١، ٢٠١٤.

٧. الذّاتيّة في الشّعر النّسائيّ القديم من الجاهليّة إلى القرن الثّالث للهجرة، هنيدة قصد الله، زينب للنّشر، تونس، ط١، ٢٠٢٥.

٨. صورة الرّجل في القصص النّسائيّ، سوسن رضوان ناجي، وكالة الأهرام للنّشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٤.

٩. كتابة الذّات في السّيرة الذّاتيّة وتجلّياتها لدى لطيفة الزّيّات ونوال السّعداوي، جليلة الطّريطر، حوليّات الجامعة التّونسيّة، عدد٥٩، تونس، ٢٠٠٨.

١٠. كتابة الهويّة الأنثويّة في السّيرة الذّاتيّة العربيّة الحديثة، جليلة الطّريطر، الحياة الثّقافيّة، تونس، ٢٠٠٨.

١١. المرأة والكتابة: سؤال الخصوصيّة/ بلاغة الاختلاف، رشيدة بنمسعود، أفريقيا

الشّرق، المغرب، ط١، ٢٠٠٢.

١٢. المرأة واللّغة، عبد الله الغذّامي، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٦.

١٣. مقوّمات السّيرة الذّاتيّة في الأدب العربيّ الحديث: بحث في المرجعيّات، جليلة، الطّريطر مركز النّشر الجامعي، مؤسّسة سعيدان للنّشر، تونس، ط٢، ٢٠٠٩.

١٤. النّساء في خطاب الفقهاء: قضايا العورة والجسد، محمّد سويلمي، الدّار التّونسيّة للكتاب، تونس، ط١، ٢٠٢١.

١٥. النّصّ المؤنّث، زهرة الجلاصي، دار سراس للنّشر، تونس، ط١، ٢٠٠٠.

١٦. الهويّة السّرديّة للبطل في نماذج من القصص العربيّ القديم، بسمة بن سليمان، الدّار التّونسيّة للكتاب، تونس، ط١، ٢٠١٢.

17. Isabelle Luciani, « De l’espace domestique au récit de soi ? Écrits féminins du for privé », Clio [En ligne], 35 | 2012, mis en ligne le 01 mai 2014, consulté le 04 janvier 2026. URL: http://journals.openedition.org/clio/10499; DOI: https://doi.org/10.4000/clio.10499.

18. L’écriture- femme, Béatrice Didier, PUF, 3eme édition, Paris, 1999.

19. Le contexte de l’œuvre littéraire, Enonciation, écrivain, société, Dominique Maingueneau, Dunod, Paris,1ere édition, 1993.

20. Littératures intimes : Les expressions du moi, de l’autobiographie à l’autofiction, Sébastien Hubier, Paris, Armand Colin,1ere édition, 2003.

21. Syntaxe ou l’autre dans la langue, Renaud Camus, P.O.L éditeur, Paris, 1ere édition, 2004.re

References

1. al-Binyah al-fannīyah fī Ḥamlat taftīsh awrāq shakhṣīyah li-Laṭīfah al-Zayyāt, Sāmī al-Sālmī, baḥth shahādat mājiṣtīr, Kullīyat al-ʻUlūm al-Insānīyah wa-al-Ijtimāʻīyah, Jāmiʻat Tūnis, 2005.
2. al-Dhātīyah fī al-shiʻr al-nisā'ī al-qadīm min al-jāhilīyah ilá al-qarn al-thālith lil-hijrah, Hunaydah Qaṣd Allāh, Zaynab lil-Nashr, Tūnis, ṭ1, 2025.
3. al-Huwīyah al-sardīyah lil-baṭal fī namādhij min al-qaṣaṣ al-ʻArabī al-qadīm, Basmah bin Sulaymān, al-Dār al-Tūnisīyah lil-Kitāb, Tūnis, ṭ1, 2012.
4. al-Khiṭāb al-nisā'ī wa-lughat al-ikhtilāf: muqārabah lil-ansāq al-thaqāfīyah, Fāṭimah Kaddū, Dār al-Amān, al-Ribāṭ, ṭ1, 2014.
5. al-Mar'ah wa-al-kitābah: su'āl al-khuṣūṣīyah / balāghat al-ikhtilāf, Rashīdah Binmasʻūd, Afrīqiyā al-Sharq, al-Maghrib, ṭ1, 2002.
6. al-Mar'ah wa-al-lughah, ʻAbd Allāh al-Ghadhdhāmī, al-Markaz al-Thaqāfī al-ʻArabī, al-Dār al-Bayḍā', al-Maghrib, ṭ1, 1996.
7. al-Naṣṣ al-mu'annath, Zuhrah al-Jallāṣī, Dār Sirās lil-Nashr, Tūnis, ṭ1, 2000.
8. al-Nisā' fī khiṭāb al-fuqahā': qaḍāyā al-ʻawrah wa-al-jasad, Muḥammad Suwaylimī, al-Dār al-Tūnisīyah lil-Kitāb, Tūnis, ṭ1, 2021.
9. al-Takhyīl al-dhātī fī al-sard al-ʻArabī al-muʻāṣir, Fatḥī Fāris, Zaynab lil-Nashr, Tūnis, ṭ1, 2020.
10. al-Tamaththulāt al-thaqāfīyah lil-jasad al-unthawī: al-riwāyah al-nisā'īyah unmūdhajan, ʻAbd al-Nūr Idrīs, Manshūrāt Dafātir al-Ikhtilāf, al-Maghrib, ṭ1, 2015.

11. Bunyān al-fuḥūlah: abḥāth fī al-mudhakkar wa-al-mu'annath, Rajā' Bin Salāmah, Dār al-Ma'rifah lil-Nashr, Tūnis, ṭ1, d. t.

12. Isabelle Luciani, « De l'espace domestique au récit de soi ? Écrits féminins du for privé », Clio [En ligne], 35 | 2012, mis en ligne le 01 mai 2014, consulté le 04 janvier 2026. URL: http://journals.openedition.org/clio/10499; DOI: https://doi.org/10.4000/clio.10499.

13. Ḥamlat taftīsh awrāq shakhṣīyah, Laṭīfah al-Zayyāt, al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb, Miṣr, ṭ2, 2004.

14. Kitābat al-dhāt fī al-sīrah al-dhātīyah wa-tajallīyātuhā ladá Laṭīfah al-Zayyāt wa-Nawāl al-Sa'dāwī, Jalīlah al-Ṭurayṭir, Ḥawlīyāt al-Jāmi'ah al-Tūnisīyah, 'adad 59, Tūnis, 2008.

15. Kitābat al-huwīyah al-unthawīyah fī al-sīrah al-dhātīyah al-'Arabīyah al-ḥadīthah, Jalīlah al-Ṭurayṭir, al-Ḥayāh al-Thaqāfīyah, Tūnis, 2008.

16. L'écriture-femme, Béatrice Didier, PUF, 3eme édition, Paris, 1999.

17. Le contexte de l'œuvre littéraire, Enonciation, écrivain, société, Dominique Maingueneau, Dunod, Paris, 1ere édition, 1993.

18. Littératures intimes : Les expressions du moi, de l'autobiographie à l'autofiction, Sébastien Hubier, Paris, Armand Colin, 1ere édition, 2003.

19. Muqawwimāt al-sīrah al-dhātīyah fī al-adab al-'Arabī al-ḥadīth: baḥth fī al-marji'īyāt, Jalīlah al-Ṭurayṭir, Markaz al-Nashr al-Jāmi'ī, Mu'assasat Sa'īdān lil-Nashr, Tūnis, ṭ2, 2009.

20. Ṣūrat al-rajul fī al-qaṣaṣ al-nisā'ī, Sawsan Riḍwān Nājī, Wikālat al-Ahrām lil-Nashr, al-Qāhirah, ṭ1, 1994.

21. Syntaxe ou l'autre dans la langue, Renaud Camus, P.O.L éditeur, Paris, 1ere édition, 2004.